

شاهد|| لافتة بأسماء 18 ألف شهيد من أطفال غزة تجوب شوارع روما



الاثنين 13 أبريل 2026 04:30 م

شهدت العاصمة الإيطالية روما، مشهدًا احتجاجيًا كثيف الدلالة، حين جاب ناشطون مؤيدون لفلسطين شوارع المدينة وهم يحملون لافتة بيضاء طويلة كُتبت عليها أسماء آلاف الأطفال الفلسطينيين الذين استشهدوا في غزة، في محاولة مباشرة لتحويل الرقم إلى أسماء، وتحويل الحصيلة إلى وجوه، وتحويل ما تسعى الحكومات الغربية إلى اختزاله في لغة دبلوماسية باردة إلى اتهام علني في قلب مدينة أوروبية كبرى. وقد أكدت مواد مصورة وتقارير منشورة أن اللافتة حملت أسماء 18457 طفلًا قُتلوا في غزة، وأن المسيرة ضمت مئات المشاركين الذين أرادوا تثبيت فكرة واحدة، وهي أن كل اسم على هذا القماش الطويل يفصح طرفين في وقت واحد، آلة القتل الإسرائيلية أولًا، ثم الصمت الغربي ثانيًا. ولهذا اكتسبت المسيرة قيمتها السياسية، لأنها لم تكن مجرد وقفة تضامن تقليدية، بل جاءت بوصفها ردًا مدنيًا واضحًا على محاولة شطب الضحايا من المجال العام، وإبعاد جريمتهم عن الوعي الأوروبي اليومي.

جاءت مسيرة روما أيضًا في توقيت لم يعد يسمح بفصل التضامن الشعبي عن الاتهام السياسي المباشر، لأن الحرب على غزة تجاوزت منذ وقت طويل حدود السرد العسكري التقليدي، وصارت في نظر قطاعات واسعة من الرأي العام الأوروبي امتحانًا أخلاقيًا وسياسيًا فشل فيه كثير من الحكومات والمؤسسات. وقد زادت أهمية هذا المشهد لأن المسيرة لم تبدأ من فراغ، بل سبقتها تحركات مشابهة في مدن إيطالية أخرى، بينها أوديني وبادوفا وبولونيا وفلورنسا، بحسب المواد المنشورة عن الحدث نفسه. وهذا الامتداد الجغرافي يوضح أن اللافتة لم تكن أداة بصرية عابرة لالتقاط الصور على مواقع التواصل، بل صارت وسيلة احتجاج متنقلة تنقل الاتهام من مدينة إلى أخرى، وتقول إن أسماء الأطفال الفلسطينيين لم تعد ملغًا محصورًا في غزة وحدها، بل دخلت الشارع الأوروبي نفسه. ومن هنا يصبح الحدث أكبر من سوشال ميديا، لأنه يكشف كيف يفرض الضحايا حضورهم على المجال العام رغم كل محاولات التخفيف والتعميه والتأجيل السياسي.

اللافتة في روما تنقل الجريمة من رقم إلى أسماء

بدأت المسيرة من روما على قاعدة سياسية واضحة، وهي أن تحويل أسماء الأطفال إلى لافتة تُحمل في الشارع ينسف واحدة من أكثر آليات التواطؤ شيوعًا، وهي دفن الضحايا داخل الأرقام. وقد وصفت تقارير منشورة اللافتة بأنها كفن رمزي بطول 25 مترًا، وحملت أسماء 18457 طفلًا قُتلوا في غزة حتى 2025، بينما سار بها المحتجون في شوارع روما يوم 10 أبريل 2026 حتى لا يضيع اسم واحد من الذاكرة العامة.

ثم اكتسبت المسيرة معناها الأوضح لأن الشعار الذي تقدمها لم يكن محايدًا ولا إنسانيًا عامًا، بل كان مباشرًا ومحددًا، وهو "لا تنسوا اسمًا واحدًا". وقد نقلت تقارير منشورة أن هذا الشعار استلهم من الكاتبة والصحفية الإيطالية باولا كاريدي، التي حضرت الحدث وقالت إن هذا الكفن الرمزي "هش لكنه يصرخ بصوت عالٍ". وهذه العبارة تكشف أن المحتجين لم يخرجوا لتسجيل موقف أخلاقي صامت فقط، بل خرجوا لتسمية الجريمة ومقاومة محوها داخل اللغة السياسية الأوروبية المعتادة.



وبعد ذلك صار واضحًا أن الشارع الإيطالي لا يتعامل مع غزة كملف خارجي بعيد، بل كقضية تكشف أزمة داخل أوروبا نفسها، لأن أسماء الأطفال حين تُكتب في قلب روما تتحول فورًا إلى سؤال عن الحكومات التي أدانت كثيرًا من الجرائم في العالم ثم ترددت طويلًا أمام هذه الجريمة. ولهذا جاءت اللافتة أشبه بمحض اتهام شعبي ضد الصمت الرسمي، لا مجرد مادة بصرية متقنة التداول على المنصات.

أطفال غزة يفرضون حضورهم رغم محاولات الإخفاء السياسي

وبينما كانت روما تحمل الأسماء في الشارع، كانت المنظمات الدولية تؤكد أن مأساة الأطفال في غزة لم تتوقف أصلًا حتى في فترات التهدئة. فقد قالت منظمة الأمم المتحدة للطفولة في 13 يناير 2026 إن أكثر من 100 طفل قُتلوا في غزة منذ بدء وقف إطلاق النار في أوائل أكتوبر، وإن هذا يعادل تقريبًا مقتل طفل واحد كل يوم، بينما شدد المتحدث باسم المنظمة جيمس إدر على أن الحياة في غزة ما زالت خانقة وأن الضرر النفسي للأطفال يتعمق كلما استمر هذا الوضع.

ثم يمنح هذا المعطى الدولي مسيرة روما بعدها التوثيقي الأوسع، لأن المحتجين لم يبنوا رسالتهم على انفعال عابر أو لغة دعائية، بل على سجل متراكم من القتل والإصابة والتجويد والانهيار النفسي الذي أصاب الأطفال في القطاع. وعندما تقول اليونيسف إن الأذى النفسي صار أعمق وأصعب في العلاج، فإن كتابة الأسماء في الشارع تصبح فعل توثيق شعبي مواز، لا مجرد تعبير عاطفي مؤقت ينتهي مع نهاية المسيرة.

كما أن حضور أسماء الأطفال في روما جاء متسقًا مع مناخ حقوقي دولي أكثر صراحة في تسمية ما جرى. فقد عرضت فرانكفورت ألبانيزي، المقررة الخاصة المعنية بحالة حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، تقريرها أمام مجلس حقوق الإنسان في 23 مارس 2026، وقالت بوضوح إنها تقدم تقريرها الخامس الذي يوثق "الإبادة الجماعية الجارية" ضد الفلسطينيين، مضيفة أن ما يحدث لا يمكن عزله عن بيئة تعذيب وتدمير منهجة. وهذه اللغة الحقوقية الحاسمة منحت المسيرة سندًا سياسيًا وقانونيًا إضافيًا.

من شوارع روما إلى عجز العواصم الغربية عن مواجهة الحقيقة

ومن ثم لم تعد أهمية مسيرة روما محصورة في عدد المشاركين أو طول اللافتة، بل في الرسالة التي فرضتها على المجال العام الأوروبي. فالحدث يقول إن المجتمع المدني بات يسبق الحكومات في تسمية الجريمة، ويقول أيضًا إن العواصم التي اكتفت طويلًا بالدعوات العامة إلى "التهدئة" وجدت نفسها أمام شارع يكتب أسماء القتلى واحدًا واحدًا، بما يسحب من السياسيين مساحة التلاعب بالألفاظ وتخفيف المسؤولية.

وبعد ذلك بدت المسيرة كأنها تعيد ترتيب المعنى السياسي للتضامن نفسه، لأن التضامن هنا لم يأت في صورة علم مرفوع فقط، ولا في صورة خطاب أخلاقي مجرد، بل جاء في صورة سجل أسماء يحمل ذاكرة الضحايا إلى شوارع أوروبا. وهذا ما يفسر اتساع أثر المشهد على المنصات، لأن الجمهور رأى أمامه فعلًا بسيطًا في شكله، لكنه بالغ القسوة في مضمونه، إذ يجعل كل اسم شاهدًا منفردًا على جريمة جماعية.

كما أن المسيرة فضحت حدود الخطاب الأوروبي الرسمي حين يتعلق الأمر بفلسطين تحديدًا، لأن المسافة بين الشارع والمؤسسات لم تعد قابلة للإخفاء. فبينما يخرج ناشطون في روما حاملين أسماء 18457 طفلًا، تظل كثير من العواصم الغربية أسيرة لغة تحاول توزيع المسؤولية أو إذابة الجريمة داخل عبارات ملساء عن "العنف المتبادل". ولذلك اكتسبت المسيرة طابعًا احتجاجيًا ساخرًا في جوهره، كأن الشارع يقول للسياسيين إن الأطفال كتبوا أسماءهم بدلًا من بياناتهم المرتبكة.

وفي السياق نفسه، تكشف دلالة الحدث أن السوشال ميديا لم تعد هنا مجرد وسيط للنشر، بل صارت امتدادًا لمعركة الذاكرة نفسها.

فالقنطرات التي خرجت من روما لم تنتشر فقط لأنها مؤثرة بصريًا، بل لأنها واجهت مباشرة سياسات النسيان والتشيت، وربطت بين مشهد أوروبى ميدانى وبين سجل دموى موثق في غزة. ولهذا نجحت المسيرة في تحويل المحتوى المتداول إلى وثيقة اتهام شعبية أكثر مما هو مجرد منشور سريع الزوال.

وفي المحصلة، لم تحمل شوارع روما لافتة عادية، بل حملت شاهدًا حيًا على أن أسماء الأطفال الفلسطينيين خرجت من تحت الركام إلى قلب أوروبا، وأن محاولات تقزيم الجريمة داخل الأرقام أو البيانات لم تعد كافية لإخماد أثرها. وقد قال الشارع الإيطالي ما عجزت حكومات كثيرة عن قوله، وهو أن قتل هذا العدد من الأطفال ليس تفصيلًا جانبيًا في حرب، بل هو جوهر الفضيحة كلها. وعندما يضطر الناشطون إلى حمل الأسماء بأيديهم في العاصمة الإيطالية، فإن الرسالة تصبح قاطعة، وهي أن الضحايا سبقوا العالم الرسمي إلى المحكمة الأخلاقية، وتركوا الحكومات الغربية متأخرة حتى عن واجب الاعتراف الواضح.